تفسير سورة البقرة الحلقة ١٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ(٢٦)**

**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(٢٧)**

مر الحديث حول مصير المنافقين والكافرين والفاسقين ومر حديث حول هذه الآية والآية ٢٦ ونكمل شيئا من الحديث المتعلق بها فنذكره هنا أيضا دفع توهم وهو الجبر على الإضلال إن الله سبحانه و تعالى هو الذي يضل و هو الذي يهدي جبرا و من غير اختيار

ونقول في ذلك:

1. الجبر على الهداية أو الجبر على الضلال لا يتناسب مع الثواب والعقاب لا يتناسب مع الثواب والعقاب بل التكليف هو لا يتناسب مع الثواب والعقاب ، تكلف شخصا بشيء فتقول له افعل هذا الشيء وتكلفه وهو مجبور لا يستطيع أن يفعل أو يستطيع أن يفعل ولا يترك ليس له اختيار أن يترك فلا يتناسب مع الثواب والعقاب كيف تثيبه وكيف تعطيه شيء وهو غير مختار في فعله لا يمكن ذلك مثلا لو أن الشخص زرع زرعا فنمت هذه الزرعة فيقول لأنها تنمو نثيبها أو لأنها لم تنمو بالمقدار الذي أريده أعاقبها فلا يمكن لا يتلاءم مع الثواب و العقاب.
2. لا معنى أيضا للأمر و النهي و التكليف مع الجبر ليس له معنى أصلا فلا يمكن أن يكلف شيء شخص أحدا وهو غير قادر على أن يختار أحد الطرفين يجبره على طرف معين ويكلفه بأن يلتزم بما يريد وهو غير قادر على اختيار أي طرف من الطرفين هذا غير معقول كما يقولون: ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء، يعاقبه وهو يلقيه يجبره على المعصية وهو يعاقبه لماذا؟ عملت المعصية هذا غير ممكن.
3. ولا يلائم التكليف أيضا كما أنه لا يلائم الجبر التكليف أيضا لا يلائم التفويض تكليف الإنسان بأمور لا يلائم التفويض أيضا هل يلائم أن يفوض الله للإنسان كل شيء ثم يكلفه بأحكام معينة يقولون لا يلائم ولا يتناسب لماذا؟

لأنه من يكون خارج عن سلطتك وسلطانك وسيطرتك كيف تكلفه أنت تكلف وتحاسب وتتحكم في من يكون في دائرة سلطانك أما الخارج عن ذلك فلا يمكن تكليفه فالتكليف كما أنه لا يتناسب مع الجبر أيضا لا يتناسب مع التفويض يتناسب مع الاختيار بين أمر وأمر لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، ونؤكد أيضا أن الضلالة المنسوب الله سبحانه وتعالى الآيات "**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ"** تشير إلى أن الله يضل أن الضلال المنسوب لله سبحانه وتعالى ونسبه إلى نفسه إنما هو فقط الخذلان الخذلان من الله وتعني ترك الشخص أن يفعل يكله إلى نفسه ولو قلنا أبعد من ذلك أمكن ذلك على بيان أنه جزاء إذا حصر الإضلال بالجزاء فيكون الأمر معقولا وغير ذلك غير معقول فالإضلال من الله سبحانه وتعالى خذلان وهو جزاء للإنسان على ضلاله فهو ضلال ثاني كما مر وليس الضلال الابتدائي الاول، الضلال الابتدائي يختاره الإنسان فيأتيه ضلال آخر وهو أن يكده الله إلى نفسه فيتخبط ويتخبط كما يقول تعالى **"وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ"** يعني الذين خرجوا عن الصراط وانحرفوا وكما يقول تعالى **"كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ"**

لأنه مسرف ولأنه مرتاب يظله الله فهو مسرف في الأول ومرتاب في الأول فأضله الله ويقول تعالى **"ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ"** هذا الضلال الثاني لأنهم أولا اساؤوا فلأنهم اساؤوا جاء ضلال كان لهم فهذا الضلال هو جزاء لضلالهم الأول وكقوله تعالى **"فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ"** ضلال من عند أعقبه إضلال من الله سبحانه وتعالى.

قوله تعالى "**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"**

النقض: نقيض الإبرام، الإبرام وتركيب وإحكام الشيء مع بعضه البعض عقده إبرام و تفكيكه هو النقض.

عهد الله: وصية الله في المقام وهي مأخوذة من التعاهد الذي يتعاهد الشيء فالله سبحانه و تعالى يتعاهد الإنسان بأمور يعني يصل الإنسان بأمور هذه الأمور هي تسمى العهد من الله.

والميثاق: عليه التوثيق

والقطع: الفصل بين شيئين ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، الفصل بين شيئين.

والوصل: نقيض الفصل وهو الجمع بين شيئين من غير حاجز.

والخسار: الهلاك و الخاسرون الهالكون وأصل الخسران ذهاب رأس المال خسر خسر رأس ماله يعني ما كان عنده من الأصل.

**البيان**

بعد أن تحدثت الآية السابقة عن مصير الفاسقين ذكرت هذه الآية صفات الفاسقين ومن صفاتهم وعلاماتهم ذكرت:

* **الصفة الأولى)** **"الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ"** الفاسقون هم الذين لا يلتزمون بالعهود بعهد الله هنا ليس العهود مطلقا وإنما اشارت إلى عهد الله فسقوا خرجوا عن العهد بينهم وبين الله هناك عهد أخذ على الإنسان نقضوا هذا العهد وخرجوا عن هذا العهد

السؤال: هل أعطى الفاسقون عهودا ثم نقضوها؟

الجواب: نعم إنهم أعطوا عهود ولكنهم نقضوها

ما هي هذه العهود؟

العهود مختلفة وكثيرة منها عهد التوحيد، أي أنه ما ركبه الله سبحانه وتعالى في الإنسان هذا العهد الأول الذي نقضه الإنسان بانحرافه وفسقه وخروجه هو ما ركبه الله في الإنسان من الفطرة و إدراك والإدراك العقلي لتوحيد الله سبحانه وتعالى ، فالإنسان بطبيعته ركب فيه أنه يدرك لكل سبب مسبب ولكل معلول علة يدركه الإنسان هذا الإدراك هو عهد الله عند الإنسان، فالإنسان لو جئت له بطبيعته يدرك هذه الأمور حقيقة ولكنه يخرج عليها عصيانا وتجاوزا من عنده و من نفسه فنقض العهد عدم التزام بما تهديه فطرته.

وعهد الربوبية وعهد عدم اتباع الهوى والقرآن أشار إلى ذلك في آيات كثيرة كما في قوله تعالى **"أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ / وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"** فهنا توجد عهود ولكنها هذه العهود عهود فطرية وعهد عدم اتباع الهوى متى أخذها الله سبحانه وتعالى؟

الجواب: أخذ أنه أخذها عندما خلق الإنسان وركبها في الإنسان فلمجرد أن وجد الإنسان هو يدرك هذه الأمور حتى الطفل الصغير، طفل صغير مولود للتو لو أنك أخرجت صوت بيدك ضربت بيدك ضربة تجده يبحث عن مصدر الصوت فلا يقول أن هذا صدفة يعلم أن لكل مسبب سبب لابد لكل معلول علة هذا الإدراك موجود عند الإنسان ركبه الله حين خلق الإنسان فمن أصل خلقة الإنسان أودع فيه هذه العهود.

ويشير إلى ذلك ما جاء في خطب نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

« فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستئدوهم ميثاق فطرته» ميثاق الفطرة المودع عند الإنسان موجود الأنبياء يحركونهم وينبهونهم إلى هذه العقول، وعهد وصية الأنبياء ما يوصي به الأنبياء أيضا هي من العهود.

* **الصفة الثانية)** يقطعون ما أمر الله به أن يوصل

ما هو ما أمر الله به أن يوصل؟

أكثر المفسرين قالوا يقطعون صلة الرحم ما أمر الله به أن يوصل الرحم قال كثير من المفسرين، وبعض المفسرين قالوا أنها تشير إلى قطع علاقة بالأنبياء والأئمة تطبيق، أنها إشارة إلى ما أمر الله به أن يوصل من الصلة بالآباء الروحيين و هم الأنبياء و الأئمة ولكن الآية إذا جئت إليها المعنى عام يشمل الجميع.

* **الصفة الثالثة)** ويفسدون في الأرض وهو كل عمل على خلاف إرادة الله وفطرة الإنسان يفسد يغير من الفطرة السليمة من السلوك السليم فهذا هو الإفساد.

**"أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"** الذين خسروا أنفسهم وخسروا فطرتهم فهي رأس مال الإنسان إذا انحرف وإذا فسق وتجاوز عن خط الفطرة فخسر نفسه.